

## رأس المال الديني بين المجال الخاص والمجال العام

## Religious capital between the private sphere and the public sphere

طلحة المسعود<sup>1</sup>، رحمون أحمد<sup>2</sup><sup>1</sup> جامعة الجلفة (الجزائر) ، talhamesaoud@gmail.com<sup>2</sup> جامعة الجلفة (الجزائر) ، rahmoun.aed@gmail.com

تاريخ النشر: ديسمبر/2020

تاريخ القبول: 07/10/2020

تاريخ الإرسال: 29/01/2019

## الملخص:

يهدف هذا المقال للاقترب والتعرف على متغير حيوي وهو رأس المال الديني لا سيما تأثير تراكم مستوياته في المجال الخاص وفي المجال العام وانعكاس ذلك بطريقة غير مباشرة على المتغيرات الحيوية التابعة، بوصفه متغير سببي، فيمكن أن يمنح الأفراد والجماعات هوياتهم الثقافية، كما بإمكانه بناء مكاناتهم الاجتماعية، ويتحدد سلوكهم واختيارهم في ضوء قيمهم ومرجعياتهم الإيديولوجية، أي ان حيازة القيم والأفكار والمبادئ والتأويلات والتصورات وتراكم معانيها لدى الأفراد والجماعات بوصفها موارد لرأس المال الديني ستفرض التوجه الايجابي والمتراحم مع الآخر وتقوم ببناء وتوسيع شعاع الثقة داخل المجتمع وتدعم نزعة المشاركة والتبادل لصالح الجماعة، وتؤسس لشبكات وارتباطات دافعة لفعل الاجتماعي الايجابي في شكل رأس مال اجتماعي ناتج في الأساس عن سلسلة تدوير وتحويل للرأس المال الديني.

**الكلمات المفتاحية:** رأس المال الديني; المعرفة الدينية; المعتقدات الدينية; العاطفة الدينية; ممارسة الشعائر الدينية; المجال الخاص; المجال العام.

**Abstract:**

The aim of this article is to approach and identify a vital variable, religious capital, especially the accumulation of its levels in the private sphere and in the public sphere and its indirect impact on the dependent biological variables as a causal variable and factor in production and development, Religious capital can grant individuals and groups their cultural identities, build social spaces, and determine their behavior and choice in the light of their ideological values and precepts. The acquisition of values, ideas, principles, interpretations and perceptions and the accumulation of meaning in individuals and groups as sources of religious capital will impose a positive and compassionate approach to the other. To build and expand a ray of confidence within the community and support the tendency for participation and exchange for the benefit of the community, and to establish networks and associations

conducive to positive social action in the form of social capital resulting primarily from a series of rotation and conversion of the head Religious money.

**Key words:** religious capital ;religious knowledge; religious beliefs; religious passion; The practice of religious rites; Private area; Public domain.

### تمهيد:

يبدأ عادةً الباحثون الذين أخذوا على عاتقهم دراسة الظاهرة الدينية، بوضع تعريف للدين، لأنه بدون هذه الخطوة المبدئية قد يجد الباحث نفسه وهو يلاحق ظواهر بعيدة عن الدين أو يتابع جوانب ثانوية من الدين على حساب جوانبه الأساسية، ومع التحولات التي يشهدها عالمنا على مستوى بنياته الاجتماعية، وأمام تجاوز الثقافة المعولمة الحدود الجغرافية وسيطرة الجانب المادي على الواقع الاجتماعي الذي جعل الناس يرون أنفسهم في السلع التي يستعملونها ويستهلكونها ويمتلكونها، وبانغماس الفاعلين وانشغالهم بمراكمة تلك الاهتمامات والحاجات، تغلبت النزعة الفردية على حساب النزعة الإيثارية وتأثرت سلباً القيم والأفكار والمعاني والمشاعر المرتبطة بالضمير الاجتماعي، وأخرت وعي المصلحة المشتركة والمسؤولية المشتركة التي لا يختص بها فرد دون آخر، فقضايا المجتمع التي تحتاج إلى التفاعل معها ليست من الأولويات، وفي حالة إن وجدت فإنها تأتي في ترتيب متأخر من حيث درجة الأهمية والمبادرة والتضحية، ويستقبل المجتمع الجزائري في هذا المناخ السائد رسائل أخرى سلبية يومياً جراء انتشار الآفات الاجتماعية وكثرة الحديث عن الفساد مما يوحي للمتتبع أن النسيج الاجتماعي مهدهد بالانهيار وبالتفكك، ويوصف إميل دوركايم D.Émile Durkheim أصبح المجتمع مجتمعاً أومياً " لا معياري تطلت فيه موارد الإنتاج المجتمعية التي من شأنها أن تحافظ على التماسك والتعاون والتكافل الاجتماعي، أين ينبغي أن يظهر في ظل هذه الظروف منتج بشري من طرف مؤسسات التنشئة والتطبيع مزود بمعاني الوعي الاجتماعي القادر على دعم قيم المواطنة الفاعلة والمحافظة على الأخلاق الفاضلة والمهتم أكثر بقضايا المجتمع، بمعنى منتج بشري فاعل وقادر على القيام بالتزاماته وواجباته إزاء متطلبات المسؤولية الاجتماعية التي يحتاجها المجتمع أمام استقالة النخب من الحياة العامة، ورغم أن علاقة الدين بالمجتمع وقضاياها تعرضت لقدر كبير من الجدل حتى أصابها قدر من عدم التحديد والتوجس من كل شيء له صلة بالدين، وتأثر بذلك الحقل المعرفي لاسيما من المنظور الإسلامي وهذا من شأنه أن يفرض التعرض العلمي لها.

وينبغي مع انخفاض مستوى طابع الاستعداد الإيثاري وتلاشي العاطفة الاجتماعية، استدعاء معاني الدين شأنها أن تتدخل وتعالج هذا الواقع، لأن الدين بوصف علماء الاجتماع يُعتبر من أهم الأنساق الاجتماعية تأثيراً في باقي الأنساق الأخرى فهو يحدد مغزى خلق الله للكون ويتضمن التقرب إلى القوى العليا التي تفوق الإنسان كما يتضمن من المنظور الإسلامي تكليف الإنسان لإعمار الأرض وتحقيق العبودية لله، فحضور معانيه واستمرارها وتراكمها كحورٍ سيءٍ وِد طاقة رمزية دافعة للفعل بين الأفراد والجماعات<sup>1</sup>، وسيتم التبادل الاجتماعي بمعية الله، فهو المالك لكل شيء، والمالك لمضامين التبادل المُفضلة لدى الأفراد في أن

تكون الأفعال الاجتماعية ايثارية هوجهة بدافع الحصول على الثواب والفوز بالجنة وتجنب الوعيد بالعقاب والعذاب من النار .

وينطلق الباحثان من وصف عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته للدين بأنه مقوم ثقافي وأخلاقي ضروري للاجتماع البشري وأن الاجتماع البشري يؤدي للتعاون بين الناس، ويضبط علاقات الناس وتعاملهم مع بعضهم في أنساق اجتماعية متعددة<sup>2</sup>، وينطلق الباحثان أيضاً من ملاحظات ماكس فيبر Max Weber في دراسته عن "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" لما للتصورات الدينية أثر على قادة النسق الاقتصادي، وأن سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات لا يفهم إلا في سياق تصورهم العام للوجود، وأن المعتقدات الدينية وتفسيراتها تعتبر إحدى التصورات للعالم التي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات<sup>3</sup>، وعلى ما يؤكد أيضاً مالك بن نبي بأن الدين في العالم الثقافي يعو عن دوره في تعزيز انسجام شبكة العلاقات الاجتماعية<sup>4</sup>، ويحاول الباحثان في هذا السياق تعميق الفهم النظري للمتغير بوصفه متغير سببي والمتمثل في رأس المال الديني، حيث سنتناول التعريف اللغوي والاصطلاحي للدين ثم مكانته وقوته في المجال العام، مع مناقشة أهم الآراء المطروحة من المنظور الاجتماعي ومن المنظور الإسلامي، ثم مقارنة رأس المال الديني برأس المال الاجتماعي، والانتهاى من ذلك إلى تحديد مفهوم رأس المال الديني ومكوناته المتمثلة في الأبعاد الأربعة (بحسب المقال).

#### أولاً : الدين ورأس المال الديني: ضبط المفاهيم:

يُجمع رواد علم الاجتماع ومنظري الظاهرة الدينية مثل دور كايم Durkheim، ومالينوفسكي Malinowski، وماكس فيبر M.Weber أن الدين ظاهرة ممتدة لكل المجتمعات البشرية الماضية، والحاضرة، والمقبلة<sup>5</sup>، ليس لكونه مجموعة من النصوص والتعاليم والقيم فحسب بل لأن الممارسة الدينية بدورها تساهم في إعطاء التصورات معنى معيناً في نسيج الفعل الاجتماعي، فالدين يعبر عن رؤية للعالم، وللطبيعة، وللوجود الإنساني، فهو بذلك يُقدم تصوراً لبناء الاجتماع البشري، كما ينمي لديهم الوعي الجمعي بفضل تلك المبادئ التي تتحول إلى قواعد للفكر والسلوك، حتى تتكون لديهم أفكار تتحول إلى عقائد راسخة لا تقبل المراجعة في جانبه اللاهوتي، حتى أن الدين يشكل مصدر للأفكار والمعتقدات الأساسية لدى الإنسان<sup>6</sup>، ولا يختلف علماء الاجتماع في أن للدين دور أساسي في صياغة التفاعلات الاجتماعية أين عرضت هذه العلاقة قدر كبير من الجدل وتبعاً للتوجهات الفكرية التي ينتمي إليها العلماء والباحثون فالبعض يعد الدين ظاهرة تتبع من الفرد ومن ثم صاغ التعريف على هذا الاعتبار، والبعض اعتبر الدين ظاهرة اجتماعية ووضع له تعريفاً يخدم وجهة نظره وآخرون ردوا الدين إلى المعاني الغيبية، وألغوا فكرة الألوهية تماماً من تعريف الدين، ويرى دور كايم أن القداسة الدينية تضاءلت عبر المسار التاريخي لمصلحة الدنيوي، إلى أن أصبحت القداسة تحتل مكانة هامشية في المجتمعات المعاصرة، بسبب أن الدين ينظم العلاقات العمودية مع الآلهة، دونما التقاف إلى العلاقات الأفقية، بينما نجد الدين من المنظور الإسلامي هو مجموعة

المعتقدات والممارسات التي تنظم حياة الإنسان الاجتماعية، انطلاقاً من الإيمان بالمقدس، وهو عقيدة، وممارسات عقدية يشترك فيها جماعات من البشر، وفي إشارة إلى البعد الاجتماعي للدين والعبادة كنظام شامل للحياة، يذهب أبو الأعلى المودودي إلى أن المراد بالدين: " هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها من العقدية والفكرية، والخلقية، والعملية"<sup>7</sup>، ويشير هنا إلى أن " العبادة " في الإسلام مفهوم شامل يغطي جميع جوانب الحياة، الروحية والمادية والذنيوية والأخروية، وهي علم وإيمان وعمل، فالصلاة والزكاة والصيام، والحج وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين، وابن السبيل والمملوك من الأدميين وللهائم، والدعاء والذكر، وقراءة القرآن، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، كل ذلك من العبادة لله.

وارتباطاً بمفهوم رأس المال وبالدين، فإن هذا المقالُ زَيَّبِين مفهوم الدين وبين مفهوم رأس المال المرتبط به من خلال أن الدين إنما يتمثل بالتوجيهات والتعليمات، أما رأس المال الديني فيتمثل في مدى تراكم المعارف والمعتقدات والميول والممارسات المرتبطة بتعليمات وتوجيهات دين معين.

يعتبر رأس المال الديني أحد المفاهيم الحديثة في التنظير الاجتماعي، وقد ظهر هذا المفهوم مرتبطاً بمفاهيم رأس المال الاجتماعي، ورأس المال المعرفي، ورأس المال الثقافي، وهي رؤوس الأموال التي تشكل طاقة معنوية تدعم الفعل الإنساني بالقدرة التي تمكنه من إنجاز أهداف محدودة، تماماً مثلما يفعل رأس المال الاقتصادي، وحسب خالد بودوح فإن رأس المال الديني يتمثل في "درجة حيابة وسيطرة الفرد على الثقافة الدينية، ومن خلال تعلم الفرد للمعرفة والمهارات والشعائر الخاصة بدين معين، سواء كان هذا التعلم بشكل رسمي من خلال التعليم الديني، أو بشكل غير رسمي، ويعتمد الفرد على ما يحوزه من رصيد في تدوير ومبادلة هذا الرصيد إلى أشكال أخرى من رأس المال، وذلك بهدف تحقيق المنافع المختلفة"<sup>8</sup>، ويتأرجح موقعه ودرجاته بين المجال الخاص للفرد من قناعات ومبادئ شخصية وبالمجال العام أي بموقع الدين في التكوينات الاجتماعية، كما ويعرفه أناكون Iannaccone بأنه "المهارات والخبرات الخاصة بعقيدة الفرد، ويتضمن أيضاً المعرفة الدينية والإحساس بالألفة مع شعائر العقيدة ويُدْعَى عرف روجر فينك Roger Fink رأس المال الديني بأنه يتألف من دجة حيابة وسيطرة الفرد على الثقافة الدينية وتعلم الفرد واكتسابه للمعرفة والمهارات والشعائر الخاصة بدين معين"<sup>9</sup>، كما عرفه داود عمر هو تلك التصورات الفكرية والأنساق الموحدة من الرموز والمعتقدات والممارسات التي تجعل من الدين الإسلامي في جانبه النظري أو الموروث الإطار المرجعي المُسَلَّمختلف المشاكل الحياتية والمجتمعية والمحدد لمصير المجتمع ويتكون من ثلاث مستويات هي مستوى الشعور ومستوى الاعتقاد ومستوى الممارسة.

### ثانياً: عوامل تشكيل وتنمية رأس المال الديني في المجال الخاص:

هناك العديد من العوامل المؤثرة بشكل مباشر أو غير مباشر في تشكيل وتنمية رأس المال الديني، وقد تختلف بعض هذه العوامل أو طبيعتها دورها من مجتمع لآخر ومن زمان لزمان وفي ضوء الاعتبارات النظرية والميدانية لهذه الدراسة، فإنه يمكن وضع أهم هذه العوامل من وجهة نظر الباحث في ثلاثة أقسام رئيسية المتمثلة في العوامل الشخصية، والعوامل الأسرية، والعوامل المجتمعية وهي العوامل الخاصة بالمجتمع المحلي الذي يمثل المواطن الأصلي، أو موطن الإقامة بالنسبة للشخص، وتشمل جميع الأوساط الاجتماعية والثقافية التي يتفاعل معها الشخص في إطار المجتمع وتؤثر في نموه وتشكيل شخصيته، وأهم هذه العوامل هو النظام السائد، والعقيدة أو الأيديولوجيا التي يستند إليها، وأمكنة العبادة، والجماعات المرجعية سواء دينية أو سياسية، ووسائل الاتصال الثقافي والإعلامي، مؤسسات أو جماعات الأنشطة الموجهة.

### ثالثاً: أبعاد رأس المال الديني في المجال الخاص:

أشار الباحثان أن رأس المال الديني في المقال الحالي يتمثل فيما يوجد لدى الأشخاص أو الجماعات من تراكمات في التصورات، والأفكار، والقناعات، والقيم والميول الانفعالية والاتجاهات، والاهتمامات، والتفضيلات والممارسات التعبدية، التي تتصل بكل من المجالات الدينية ويقصد الباحث من معتقدات ومقدسات وشعائر ومبادئ ومعاملات وأخلاق وفي مقدماتها مقتضيات أركان الإسلام والإيمان والإحسان والحدود والمحرمات، التي تحدد علاقة الإنسان المسلم بخالقه والهه وبذاته وبغيره من ذوي الرحم والأقارب والجيران وأفراد مجتمعه أو غيرهم من غير المسلمين، لذلك سيتناول الباحث وفقاً لأبعاد رأس المال الديني من المنظور الاسلامي تحليل لهذه الأبعاد وفق ما يلي:

### 3-1- بعد المعرفة الدينية:

ويتجلى في معرفة المقتضيات أو التوجيهات الإسلامية المعلومة من الدين بالضرورة، فالإسلام يدعو الفرد إلى إعمال العقل، والمسلم لا يجد تناقضاً بين الوحي والعقل، فيتعين على المرء أن يسلك المسالك التي من شأنها أن تمكنه من تحصيل المعرفة والعلم بالأصول العامة للإسلام بأركانه وأحكامه وحدوده، من فروض وواجبات ومندوبات، ومن مكروهات ومحرمات، وغير ذلك من التصورات والدلالات التي تصوغ وتضبط حركة المسلمين في كل نواحي الحياة وفقاً للمنهج الإسلامي، وهكذا يدرك الشخص المسلم ما يجب عليه.

وهنا يتجلى اهتمام الفرد ورغبته في التزود بالمعلومات الثقافية وأمور دينه عن كيفية ممارستها، والمعرفة الإسلامية كثقافة نوعية متميزة تستمد تراثها من الكتاب والسنة والدين والعادات والتقاليد والأعراف والقيم ومن كل ما اكتسبه الإنسان المسلم بوصفه عضواً في المجتمع الإسلامي، ومن أهم موارد ومصادر تراكم المعرفة الدينية من خلال المحاضرات الدينية، والدروس الدينية، والكتب الدينية، والأفلام الدينية.

**4-2- بعد المعتقدات الدينية (الإيمان):**

يرى جورج زيمل George Simmel أن الإيمان هو الذي يقاوم الشكوك وأن يمتلك الثقة المطلقة التي لا تتزعزع، والله هو موضوع الإيمان<sup>10</sup>، ويتجلى من المنظور الديني الإسلامي بالإيمان المنسجم مع التوجيهات الإسلامية، وهو يشير إلى استقرار المعرفة العقلية كما تحددها المصادر الإسلامية الشرعية في القلب لتصبح عقيدة إيمانية راسخة، مؤسسة على معرفة دينية، إذ أن توافر المعرفة بشيء ما، لا يعني توافر الإيمان به بنفس الدرجة من المعرفة، والإيمان لا يتحقق دون الإمام به عن طريق العلم فالإيمان كحالة من الاطمئنان القلبي والنفسي يأتي تالياً للجانب المعرفي<sup>11</sup>، بتدأ الإيمان بالله والإيمان بالأنبياء والكتب السماوية، والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، والإيمان بالملائكة.

**3-3- بعد العاطفة الدينية:**

ويتجلى في مختلف العواطف الانفعالية والميول من حب وخوف ورهبة ورغبة وإنابة...، وفي مظاهر التقضيلات، والاهتمامات والاتجاهات الإيجابية المنبعثة من قيم إيمانية راسخة ومؤسسة على معرفة دينية، وهذه مرتبة تالية لمرتبة الإيمان، تتأثر به، كما تؤثر بما يليها من سلوك وممارسات، ولكنها قد لا تصل حد الممارسة الفعلية لما يجب الالتزام به، ومن أهم التقضيلات نجد التعاون على تحقيق الخير فهو إحدى القيم الإسلامية<sup>12</sup>، والتعاون الإسلامي مجاله البر والتقوى وليس الإثم والعدوان، والتعاون لا يقوم على مصلحة دنيوية فقط، بل أساسها كسب رضا الله سبحانه وتعالى مما يجعل له قيمة دينية، والتعاون الذي يقوم على أسس دينية تحكمه قواعد وشريعة منظمة دائمة ومستقرة، لا تتغير أو تتبدل بتغير المواقف والمصالح ولا تتأثر بالأهواء أو المصلحة الذاتية هو تعاطف وتراحم بين الناس، ولا يستغني الناس في كل مجتمعاتهم عن التعاون، بل إنه يبين حسن الخلق، أن يعطف القادر على الضعيف والغني على الفقير وذلك يؤدي إلى تماسك المجتمع، وللتناصر بين المؤمنين بالله ورسوله آثاره الإيجابية في بناء المجتمع كالأمر بالمعروف والخير وفصائل الأقوال والأعمال، والنهي عن المنكر والشر وكل مفسدة، والارتباط بالله وتطهير النفس بالصلاة، والتكافل الاجتماعي ورعاية الفقراء والضعفاء بالزكاة، طاعة الله وطاعة الرسول في كل أمر أو نهي، والتعاون يستوعب كل جوانب الحياة المادية والمعنوية ومع الزملاء ومع المجتمع وهذا من أساسيات وموجبات الإيمان.

**3-4- بعد الممارسة للشعائر التعبدية:**

إذا كانت العقيدة تحت العقل على النظر في ملكوت الله تعالى للوصول إلى الإيمان بوجوده تعالى وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وصفاته، فإن تشريع العبادات كان الغرض منها التزود بمعاني الخير والجمال، وقد بدأ تشريع جزء منها في المرحلة المكية، كالصلاة والإشارة إلى الصوم والحج والجهاد، ثم فرضت على وجه الحتم والإلزام في المرحلة المدنية ويتجلى في الممارسات والسلوكيات الإسلامية القائمة على معرفة إسلامية صحيحة وإيمان راسخ وميل أو نية صادقة، واستحضاراً

لمفهوم العبادة إتياناً أو امتناعاً، وهذا يمثل المظهر الخارجي للرأس المال الديني وهو الغاية النهائية والتكاملية، لما يسبقه من العلم والمعرفة، والإيمان، والميل، وفيه تتحقق العبودية لله سبحانه وتعالى عندما يتناغم القول مع العمل، الذي يتجسد فيه الإحسان.

والعبادات هي الجانب النشط الذي يمكن ملاحظته من السلوك الديني، والعبادة من المسائل الأولية والأساسية للدين أي مستوى الاتصال الدائم بالإله.

ودائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان وجعلها غايته في الحياة ومهمته في الأرض، تشمل شؤون الإنسان كلها وتستوعب حياته جميعاً، وتشمل ما زاد عن الفرائض من ألوان التبعيد التطوعي، ولكننا سنقتصر على أهمها الأذكار وقراءة القرآن والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والدعاء، ويلاحظ أن العبادات من المنظور الإسلامي ليست في كونها حركات تؤدي وشعائر تؤتى، إنها سلوك وعمل، وفكر، وشعور وتأدية العبادات الدينية تحقق فائدتين رئيسيتين هما أن توفر للمسلم الوقت لكي يتأمل نفسه بالنسبة للكون الكبير والخالق العظيم، وكما أنها تخفف الشعور بالذنب وتساعد على توفير الطمأنينة لشعور الشخص بأن الله بجانبه في السراء والضراء وثانيهما أنها تعطي للمسلم شعوراً بأنه ينتمي لجماعة كبيرة تشترك معه في التفكير والعقيدة وفي تأدية العبادات بنفس الطريقة، وهذا الشعور بالانتماء إلى الجماعة ينمي لديه الشعور بالأمن والاستقرار.

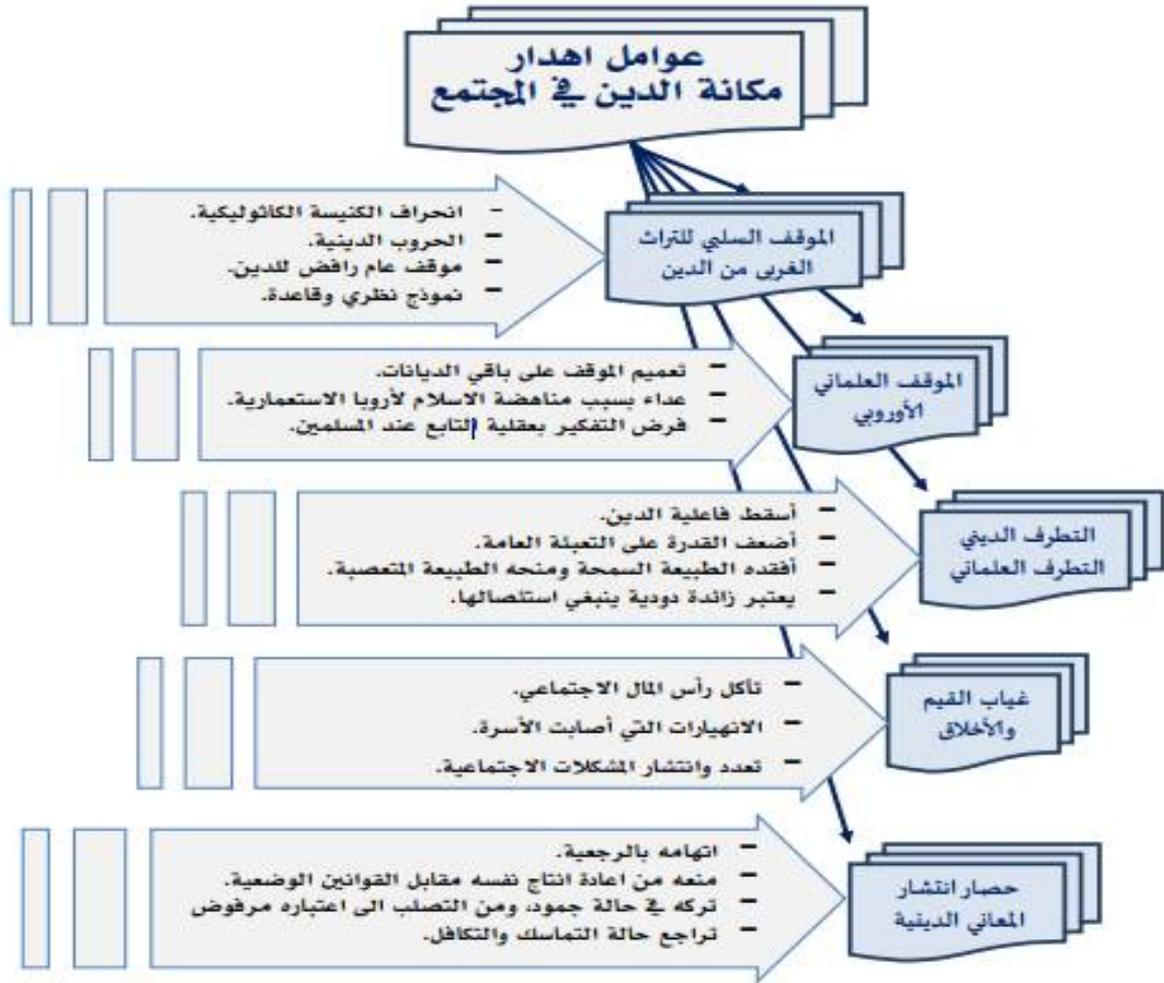
#### رابعاً : المجال العام ورأس المال الديني:

نشأ مفهوم المجال العام في الفكر الغربي الحديث، وانتشر باعتباره مصطلحاً محددًا في العلوم الاجتماعية في ستينيات القرن العشرين بعد أن نشر المفكر الألماني هابرماس Jurgen Habermas كتاباً بعنوان "التحولات الهيكلية للمجال العام البرجوازي"<sup>13</sup>، حيث أن المجال العام لا يرتبط بمؤسسات بعينها سواء كانت مؤسسات رسمية تمثل المواطنين أو تخدمهم، أو كانت مؤسسات مجتمعية مثل منظمات وجمعيات المجتمع المدني والأهلي تقوم عليها نخب أو فئات محددة تهتم بهذا المجال، وإنما هي مساحات مفتوحة يوجدها الأفراد العاديون على اختلافاتهم السياسية والفئوية والاجتماعية والثقافية وعلى اختلاف اهتمامهم بالشأن العام بل واختلاف معرفتهم بتفاصيله، فالمجال العام يقع بين المجتمع المدني والدولة وله دلالة سياسية وقانونية، لأنه عبارة عن طريقة تنتظم من خلالها العلاقة بين سلطة الحكام والمحكومين، انه المكان المفضل للسيطرة والعنف الرمزي واللامساواة، حيث يجتمع فيه رأس المال الاجتماعي ورأس المال المادي، مما يعني أن النظام القائم في الدولة ليس الفاعل الرئيسي في المجال العام بخلاف المجال السياسي، وان كان النظام القائم على أمور الدولة لا تتفك محاولاته للتأثير في هذا المجال العام بطرق غير مباشرة من خلال وسائل الإعلام وكثير من المؤسسات وبالتواصل لتوجيه المواطنين في الدول الأكثر استقراراً والنظم الأقل استبداداً، أو بطرق مباشرة بفرض سيطرتها على المساحات العامة سواء كانت مادية أو افتراضية ومطاردة الفاعلين فيها في الدول الأقل استقراراً والنظم الأكثر استبداداً.

## 6- العوامل التاريخية لإهدار مكانة الدين في المجال العام:

تأثرت مكانة الدين خاصة في المجتمع الجزائري وتأثر حضوره في الحياة العامة لأسباب تاريخية لا زالت أثارها قائمة ليوم الناس هذا، يرى علي ليلة أن هناك عوامل عدة تسببت في اضعافه، والشكل التالي يوضح أهم عوامل اهدار مكانة الدين في المجتمع<sup>14</sup>:

شكل يُبين عوامل إهدار مكانة الدين في المجتمع. (من اعداد الباحثين)

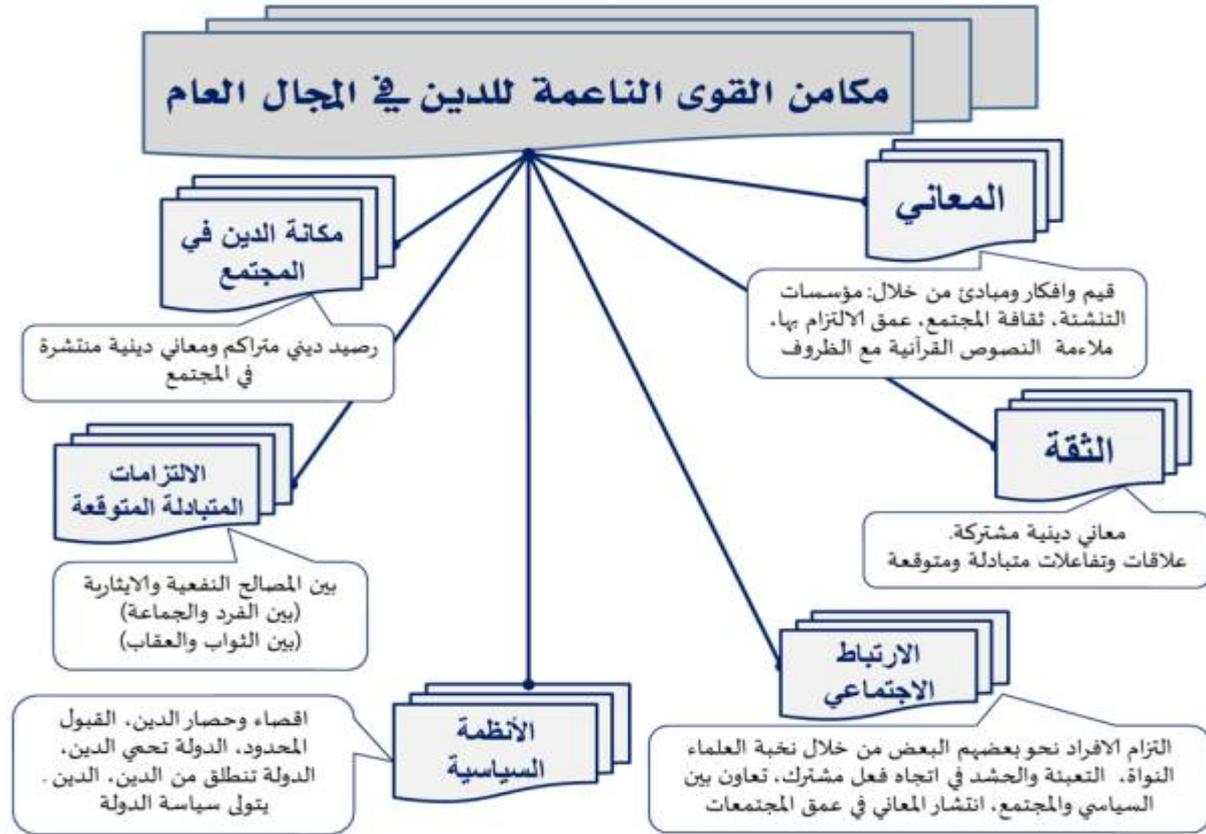


## خامساً- مكامن القوى الناعمة للرأس المال الديني وسبل استثماره في المجال العام:

تتطلق قوة التأثير الحضاري والثقافي والعقلي والوجداني من البدائل المتاحة والمتوفرة في الدين، لذلك فالإسلام الأول انتشر في ربوع العالم بأخلاق التجار وممارساتهم الواقعية وكانت وسيلة استخدمها الدين في نشر مبادئه وقيمه النبيلة التزاما بمنهج الهدايا وليس بالقوى الخشنة، بل بقوة تراكم المعرفة وقوة تراكم المعتقد وقوة تراكم العاطفة وقوة ممارسة الشعائر الدينية التي انعكست على المجال الخاص وعلى المجال العام فأصبحت مورد يعيد انتاج رأس المال الديني وتحويله وتدويره كنوع من الاستثمار في الواقع إلى رؤوس أموال أخرى صنعت فيها الحضارة اتسع شعاعها، وتحققت التنمية فيها بمعنى الحصول على الربح أي اضافة قيمة

جديدة إلى الموارد القائمة لعملية الانتاج والشكل الموالي يبنى بعض أهم مكامن صناعة القوى الناعمة للدين في المجال العام:

شكل يبين مكامن القوى الناعمة للدين في المجال العام. (من اعداد الباحثين)



### 5-1- المعاني الدينية:

تعتبر المعاني طاقة رمزية دافعة للفعل، التي تحدد مغزى خلق الله للكون ووضع الإنسان فيه لإعمارهِ وتحقيق مجد الله، فالدين أساس للتنظيم الاجتماعي، وليست أحد تجلياته أو مظاهره، هذه المعاني تضم عادة القيم والأفكار والمبادئ التي تشكل محور الدين، والتفسيرات أو التأويلات، وتتواجد المعاني في السياق الاجتماعي من خلال ما يلي<sup>15</sup>، من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية لتشكل الضمير الأخلاقي للفرد وتُحدد سلوكياته، ما هو الصواب من الخطأ، من خلال ثقافة المجتمع فتؤثر في القيم الوجدانية والتفضيلية وتتباين من حيث درجة الالتزام في قيمها وبنيتها المعيارية، من خلال التوقعات التي تعمق الالتزام بالمعاني الدينية ومن ثم تطور نوعاً من الثقة المتبادلة، وتساعد على تآزر الأفعال الإنسانية باتجاه تحقيق النفع المتبادل، أو إنجاز الأهداف المشتركة، ولتضفي على الشبكات والترابطات قوة تماسكا وفاعلية وإنما تقيض على ما حولها، لذلك تحتاج المعاني الدينية إلى الظروف الملائمة حتى يتحقق تراكمها، وحتى تتراكم ينبغي مراعاة<sup>16</sup> تحيين النصوص الدينية مع ما يلائم الظروف المتغيرة من خلال تجديد الخطاب الديني، حتى لا يتم هدر المعاني بالتطرف، وتعميق المعاني الدينية عند البشر في المجتمع إلى حد تأسيس النواة الصلبة التي

تتولى نشر هذه المعاني من خلال نخبة العلماء وحتى لا يتم مرة أخرى هدر المعاني بالغلاة، ونشر هذه المعاني في الاتساع بحيث تصبح هذه المعاني حاضرة وفعالة وموجهة لأفعال البشر في مختلف المجالات الاجتماعية، حتى لا يتم هدر لمعاني الدين بالإنفاق الديني على العامة.

### 5-2- الثقة:

مفهوم مشترك بين رأس المال الاجتماعي ورأس المال الديني فالدعوة إلى التعاون والتراحم يزيد من الثقة بوصفها عامل أساسي للتماسك، وتنمو الثقة استناداً إلى مصدرين هما المصدر الأول المعاني الدينية المشتركة التي تفرض السلوك الإيثاري، أي السلوك الذي يسعى إلى تحقيق مصلحة الجماعة، والمصدر الثاني من طبيعة العلاقات والتفاعلات مع الآخرين استناداً إلى صيغة التوقعات المتبادلة.

### 5-3- نزعة التبادل بين مصالح الجماعة والفرد:

يسعى الإنسان إلى تحقيق إشباع لحاجاته الأساسية تحت تأثير الضغط الغريزي البيولوجي، أو ضغط الاهتمامات الثقافية إلى المشاركة في الفعل الجمعي من خلال التفاعل الاجتماعي بهدف تحقيق غايات أو أهداف مشتركة تخدم وجود الجماعة بالأساس، هذا التبادل يدور حول قيم معنوية أو مادية محكومة بواسطة أبعاد أساسية هي الفطرة الإنسانية التي تحتوي على اتجاه إيجابي نحو الآخر ويصبح جزء الفعل أو مكافأته متصل بالحلال والحرام الديني بالثواب والعقاب بالجنة والنار، والتبادل من شأنه أن يدعم صيغة التعاون بينهم.

### 5-4- الارتباط الاجتماعي:

المعاني الدينية تؤسس لجملة من الالتزامات في اتجاهين، الاتجاه الأول التزام الأفراد نحو بعضهم البعض في اتجاه هدف مشترك لتنتشر الثقة والتسامح ويدعم النسيج الاجتماعي للجماعة والاتجاه الثاني تقلت الأفراد مما سبق، وتلعب المعاني الدينية دور في تأسيس الترابطات عبر أربعة دوائر متتابعة وفق الدوائر التالية<sup>17</sup>، الدائرة الأولى تعمل المعاني الدينية بتشكيل الجماعة الصغيرة "النواة الصلبة" الأكثر ارتباطاً بالمعاني الدينية فتحول تلك المعاني إما إلى نسق مغلق جامد، أو استكشاف معانيه لتواكب الواقع المتغير وتفرض التزام الجماعة بها في سلوكها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، الدائرة الثانية وتعمل على تعبئة الجماعة في اتجاه فعل سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي مشترك، لتحقيق النفع المتبادل وتحقيق المصالح الفردية بالنسبة للجماعة إضافة إلى أنها تساعد على بلورة هذه الجماعة، الدائرة الثالثة وتكون حيث المجتمع، وتدخل المعاني في علاقة متباينة مع السياسة إما الاستقادة أو الصراع، أي يتصادم أداء رأس المال الديني مع السياسة فيقع التفكك والانحيار الاجتماعي وبهذا تعمل السياسة على تبيد المعاني الدينية وفرض هدرها والدائرة الرابعة حيث تنتشر المعاني الدينية على ساحة حضارية وتختلط بثقافات وفي داخل مجتمعات الحضارة الواحدة تتباين حالة رأس المال الديني، من حيث حجمه وعمقه وقدرته على التراكم والتجدد والاستمرار أو التراجع والتناقص.

**5-5-5- مكانة الدين في المجتمع:**

أنتجت المعتقدات الدينية بالنسبة للمجتمعات العربية والإسلامية على عدة قرون حضارة إسلامية مترامية الأطراف وتمت صناعتها في منطقة عُرفت تاريخياً بأنها كانت على هامش الحضارات العريقة التي عرفتها البشرية، إلى درجة أن صارت نموذج ينبغي أن يُحتذى، ونقلت أوروبا قاعدة معرفية كبيرة عنها، لعبت لاحقاً دوراً محورياً في تطورها، وفي التاريخ المعاصر ونظراً لعدة ظروف تاريخية تلاشت فيها ملامح القوى الناعمة والخشنة للحضارة الإسلامية ونتيجة لذلك عرفت علاقة المجتمعات العربية المعاصرة بالدين بثلاثة مراحل أساسية هي<sup>18</sup> الأولى لعب فيها الدين دوراً في النضال والتحرر ونيل الاستقلال، والثانية استندت الأنظمة السياسية في بعض شرعيتها على المعتقدات الدينية، والاستفادة من المخزون الديني عند الجماهير، و المرحلة الثالثة تم فيها تبيد الرصيد الديني للمجتمع، وبمساعدة القوة القائدة للحضارة الغربية والجماعات الدينية المتطرفة في المنطقة العربية بوقوع خسائر كبيرة في المعاني الدينية وفي تدمير معاني التسامح والاعتدال في الدين لبنة لبنة، كما دفعت الأنظمة السياسية بقصد أو بغير قصد في تآكل الطاقة الدينية.

**5-6- الأنظمة السياسية:**

توجد خمسة مواقف من حيث النظر إلى الدين باعتباره قيم سالبة للاستقرار الاجتماعي فحسب رأي (علي ليلة) وهي اقضاء الدين وحصار الدين في حدود الضمير الفردي (نموذج الاتحاد السوفيتي وماركس، تركيا وكمال اتاتورك، الماركسيين في البلدان العربية، الدولة الشمولية)، كلها عملت على وضع نهاية لتأثير الدين وتدخله في التفاعل في الحياة العامة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، أي فصل الدين عن الدولة واستبعاد أية فاعلية له في المجال العام وخاصة استبعاد المعتقدات والحجج الدينية من المجال السياسي، أدت هذه المواقف إلى تعطيل إعادة إنتاج المعاني الدينية لذاتها في المجال العام، الموقف الثاني يتحدد بالقبول المحدود للدين كعنصر فاعل في الحياة العامة، وتسمح بذلك بعض المجتمعات بقدر محدود التعامل مع الدين، مع استبعاد بعض القضايا الدينية الخلافية من الحسابات السياسية، أما الموقف الثالث فيتمثل في أن الدولة تحمي الدين والسياسة ما يوحي الى نوع من المصالحة بين السياسة والدين، أين تحترم الدولة حرية العبادة وتترك للدين تشكيل الضمير الإنساني، وعلى الدولة أن لا تستبعد الجماعات الدينية من المشاركة، وأن تعترف الجماعات الدينية بالواقع القائم وأن تساعد على احترام حرية المواطنين الآخرين، أي وجود عقد اجتماعي يستند عليه كل طرف بنوع من التسامح المتبادل والاعتراف والمصالحة، أما في ما يخص الموقف الرابع فهو أن الدولة تستند من توجيه المعتقدات الدينية، وتعد إيران وإسرائيل نموذج لذلك<sup>19</sup>، والموقف الخامس فإن المعتقدات الدينية تتولى صياغة سياسة الدولة ونموذج ذلك دور الحركة المسيحية الصهيونية في صياغة توجيه سياسة الولايات المتحدة نحو إسرائيل ونحو الدول العربية.

**سادسا : متطلبات تراكم موارد رأس المال الديني بين المجال الخاص والعام:**

من البديهي ملاحظة أن زيادة تراكم الجانب المعرفي والعقائدي والوجداني وممارسة الشعائر التعبديّة أن ينعكس طردياً على تراكم وتكاثر رأس المال الديني، بحيث ان هذه الجوانب تُحدد الأطر العامة للاتجاهات والتوجهات للأفراد في المجال الخاص والمجال العام كما يحدد أهدافهم وغاياتهم وتنعكس على الميول الديني والسلوك الديني، وأنه بهذه الصورة تصبح كل أعمال الفرد في المجتمع موجهة للإله ابتغاء مرضاته، وهذا الشعور يدفعه إلى العمل النافع، لذلك ستزيد من مستوى إدراك وتمسك الأفراد بقناعاتهم الدينية وآراءهم ومواقفهم الدينية المُشكّلة لرأس مالهم الديني وهي حصاد وتنتيج للمعرفة الدينية والتفضيلات من خلال العاطفة الدينية لدى الأفراد المنطلقة من أساس أفكار وتصورات واعتقاد ديني، لتصبح تلك المعارف والأفكار والتصورات والمواقف الموجه الرئيس لكل الأحكام لديهم.

في هذا السياق فإن الآراء والمواقف والقناعات المكونة لرأس المال الديني تُعبر بعمق عن تمثّلات رَسختها معاني الدين وأنتجتها الجماعة وأصبغها المجال العام من خلال المرجعية الدينية، لينعكس على قناعات ومواقف وميول الفرد في المجتمع ومساهمته في أفعاله لذلك نجد أن هناك تفاوت حاصل بين الفاعلين في درجة حيازة رأس المال الديني من حيث مستوى واتجاه أبعاده (الإدراك الديني، الاعتقاد الديني، العاطفة الدينية، السلوك الديني) وإذا كان هدف الوصول إلى حالة مثالية التي تُعبر عن حالة منشودة لكل المجتمعات لتتقلص تلك الفجوة التاريخية المستمرة بين الواقع والمستقبل وهذه الحالة من المثالية (اليوتوبيا) حسب ما يراه كارل مانهايم التي يصفها بـ "أن اليوتوبيا تسمو وتغوق على الوضعية الاجتماعية وتوجه السلوك نحو عناصر لا تتوافر في الوضعية التي تم إنجازها وتحقيقها في تلك الآونة لكنها ليست ايدولوجيات بمقدار ما تتجج بنشاطها المعاكس في تغيير وتحويل الواقع التاريخي القائم إلى واقع آخر أكثر تطابقاً مع مفاهيمها، ثم هي تلك الأفكار المتفوقة والمتسامية وضعياً التي لم تحرز نجاحاً واقعياً في تحقيق مضامينها ولو أنها تصبح في الغالب الحوافز الطيبة المقصودة للسلوك الذاتي الذي يتحلى به الفرد حين يشملها التطبيق فعلاً وواقعاً لأن معانيها كثيراً ما تكون مشوهة ومحرّفة"<sup>20</sup>، في هذا السياق من المعاني يستعرض الباحثان بالتحليل واقع موارد رأس المال الديني من وجهة نظرهما:

**6-1. واقع الجانب المعرفي بين المجال الخاص والمجال العام:**

إذا كان اتجاه ومستوى المعرفة الدينية ضعيف أو متوسط فإن هذا المورد لا يسند مستوى رأس المال الديني ولا يزيد في تراكمه الى حد كبير، أي أن نسق المعرفة الدينية الذي يسود يوحي أن المجتمع يستلهم المعرفة خارج الأطر الدينية وأن غير ذلك يسود المجتمعات متأثر بالمجال العام والمجال الخاص في آن واحد، وربما ضعف حيازة المعرفة الدينية والبحث عن ما يربط الإنسان بالكون والطبيعة والتي تجعل هذه العلاقة مُقسّمة في تحدي دائمة مع العولمة الثقافية الوافدة، ولأن الثقافة هي عبارة عن مجموعة القيم الاجتماعية المنبثقة خاصة من توجيهات الدين التي كانت على أشكال أفكار، ثم أصبحت ممارسة من طرف

أفراد المجتمع، فإذا كان هناك ضعف في انتشار المعاني الدينية في المجال العام أو المجال الخاص سينعكس ذلك حتماً إلى خلل في السلوك، وتدني أهم مؤشرات المعرفة والإدراك الديني انعكاس لذلك، فعلى سبيل المثال لا الحصر إذا كان هناك انخفاض في مستوى حفظ النص الديني "القرآن الكريم" وأن هناك نقص في الاهتمام بمتابعة مصادر المعرفة الدينية كالمطالعة للكتب الدينية أي أن الأفراد إذا فقدوا معارفهم وتدنت مستويات ادراكاتهم الدينية وما يتبعها فكيف لهم ان تتجسد علاقاتهم بمعتقداتهم وميولاتهم وممارساتهم، فنسق المعرفة متدني في الواقع على مستوى المجال العام وعلى مستوى المجال الخاص اذا لم نقل انه ضعيف لدى افراد المجتمع ويمكن أن تكون المؤشرات المادية أهمها وليست جلها على سبيل المثال لا الحصر نذكر مثلاً حفظ للقرآن الكريم (حزب واحد - حزبين - ربع القرآن - نصف القرآن - كامل القرآن)، القيام بشراء ومطالعة الكتب الدينية، ومعرفة أن من العمل الصالح مساعدة الضعفاء والمحتاجين والجيران، ومتابعة مقاطع الفيديو الدينية لبعض الدعاة والعلماء على اليوتيوب، وإمكانية استظهار بعض الآيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث الشريفة وتفسيرها وشرحها، وحفظ للأحاديث الشريفة (بضع أحاديث، 20 حديث، الأربعين النووية، 100 حديث، أكثر من ما سبق)، ومعرفة إزما الأعمال بالنيات أكانت تلك الأعمال صالحة أو غير صالحة.

وبذلك فمستويات الثقافة عندما تكون ضعيفة وتكون شبكة العلاقات بالمعرفة المقدسة لديه ضعيفة أي أن الأفضلية في الثقافة الأخلاقية الربانية مترتبة في حدودها الدنيا وعليه يترتب أن نلاحظ أن تهيمن مكانها الثقافة العامة التي يقدمها البناء المعرفي في المجتمع ويخضع لها الفرد لتتبع كمشروع وبدل لديهم لتظهر بقدر ما يستهلك من سلع ومقتنيات ومواكبة أذواق العصر - مظاهر الفردانية في المجال العام - ، على حساب العناصر التي تحرك لإنسان وينتظم بها نشاطه، وبها تنتظم شؤون حياته وشؤون مجتمعه، ونفس ذلك أن النسق المعرفي المقدس غير موجود في البناء المعرفي للمجتمع وإن وجد فربما يتعارض في قناعتهم بين النسق العلمي والديني ما يجعل هناك حالة التوازن بينهما مفقوداً، لأنه إذا كانت المعرفة نابعة من عبادة قوة أقوى من قوته ولا يدركها عقله فإن ذلك يدفعه إلى تقديسها فيلتزم بمحرماتها وما يبيحها، لتكون لاحقاً معتقداته، لذلك فإن نسق المعرفة الدينية يكون حيويًا في البناء المعرفي، وهذا ربما ما هو سائد في المجتمع الإسلامي.

## 2-6. واقع الجانب الإيماني بين المجال الخاص والمجال العام:

أما في ما يخص الاعتقاد الديني الجانب الإيماني ونعني به الشق الأيديولوجي أحد موارد رأس المال الديني في المجالين الخاص والعام حيث نجد غوستاف لوبون يقول "إن أثر المعتقدات الدينية في حياة الشعوب يفوق كثيراً ذلك الدور الذي يقوم به الفكر أو العقل"<sup>21</sup>، المواقف والقناعات والتصورات الراسخة في شق الإيمان هي تلك المكونة للاعتقاد الديني، حالة البعد الأيديولوجي من معتقدات دينية وتجليات إيمانية لان مستوى تراكم التصورات والمعتقدات الدينية ستصبح أيديولوجية هُجِية ويظهر ذلك في السلوك الاجتماعي لدى الفرد، ويمكن أن تكون المؤشرات المادية تعكس مستويات واقع الجانب الإيماني وعلى سبيل

المثال لا الحصر نذكر مثلاً العلاقات مع الآخرين مُقيدةً بميزان ديني وليس بما يملي به العقل، الاعتقاد أن الانتساب في الجمعيات الخيرية تطوعاً احتساباً للأجر وليس ممارسةً دنيويةً في مقام الأولويات، التدبر من حين لآخر في قدرة الله تبارك وتعالى أثناء قراءة القرآن وأثناء مثلاً مراقبة مخلوقاته - آيات الله المسطورة وآيات الله المنظورة - ، والاعتقاد أنه لو طبقت الشريعة الإسلامية على قانون الأسرة لتراجعت حالات الطلاق، ووجوب ضبط الأفكار والتصرفات والاهتمامات دائماً بالقيم والمبادئ الدينية، والاعتقاد أن ضعف العلاقة بين الدين والمجتمع وتراجع مكانة الدين في الحياة اليومية هو سبب التخلف، وإذا كانت مستويات المؤشرات السابقة وغيرها كانت ضعيفة أو متوسطة فأنها لا تكفي لاستنهاض الهمم، ويؤكد مالك بن نبي في أهمية المجال المعتمد الفكري إنَّ المعجزات الكبرى في التاريخ مرتبطة دائماً بالأفكار الدافعة<sup>22</sup>، ويقول الله تعالى ﴿لَا يَغْيُرْ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد: الآية 11)، فتراكم رأس المال الديني في بعده العقدي والإيني لدى الأفراد بوصفه مصدر هام من موارد رأس المال الديني لا يساعده في زيادة تراكمه لينعكس بدوره في المجال العام ولا تدعم متغير الإيمان في بدوره في حياة الأفراد لأن الأفكار الميتة بشهادة التاريخ قد فعلت فعلتها في تكوين الجانب السلبي وفي تراجع العطاء الاجتماعي، لأن الأزمة الفكرية الاعتقادية ليست قضية نخبة من العلماء أو نخبة من السياسيين، ولكنها مشكلة المجتمع كله، وفي هذا الصدد يقول ديل كارنيجي "إن أفكارنا هي التي تصنعنا، واتجاهنا الذهني هو العمل الأول في تقرير مصيرنا"، فجزئية العمل الاجتماعي التطوعي على سبيل المثال لدى فئة قليلة من المجتمع لا تكاد أن تظهر في زخم الواقع الاجتماعي، وعالم الفكر لم يعزز تعظيم أفكار الدين في الواقع (المجال العام والمجال الخاص) ومن المنظور الإسلامي من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف لتنعكس على واقع الأفراد والعمل بها، ويستدل الباحثان في ذلك أنه في بداية الإسلام كانوا يقولون عن عمر بن الخطاب في الجاهلية: "لن يؤمن عمر حتى يؤمن حمار الخطاب" لكن عندما دخل الإيمان قلبه وترسخ فهمه ومعتقداته تحولت الدفة وأصبح عمر أحد رموز الإسلام، وهكذا هي الأفكار الإيمانية فعلت فعلتها في صحابة الرسول، فاتحد العلم بالفهم والمعرفة والتصديق والاعتقاد مع العمل، بخلاف واقع اليوم أين انفصل العلم عن العمل، فاختلف واقع الناس وما ينادون به، والأکید أن الجانب الاعتقادي دفع صحابة الرسول إلى ترك أوطانهم وأموالهم وعشائرتهم وهاجروا إلى وطن جديد لا يعرفون أحداً ولا يملكون فيه مالاً، وفي هذا قال تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ (سورة البقرة: الآية: 207).

وبالرجوع إلى التعبير عن قلة استحضار اعتقاد الأفراد الحيوي من مصدره المقدس في واقعهم اليومي، التي كانت بنسب ينبغي أن تكون مرتفعة من خلال الاعتقاد بأن الجنة هي ثواب المؤمنين الصالحين وأن النار هي عقاب الكفار المكذبين، لأنه عندما تكون حركة الفرد بدون دافع إيماني وتكون فقط بدافع العادة أو غير ذلك من الأفكار العادية فإن من شأنها أن تحدث أثراً سلبياً في نفس صاحبها، فبُعد المعتقدات الدينية من تصورات وتجليات للإيمان في حياة الناس هو المصدر الأصلي، وستبقى الأفكار ذات قدسية وهي حقيقة

مستقلة عن التاريخ، لأن أصل الفكرة الإسلامية لما دخلت الفعالية بسطت سلطانها على البشرية، وسيصعب الانتفاع بها وإنزالها الاجتماعي والمجتمعي ما لم تتقوّل في عالم ثقافة الجميع في المجال العام والخاص حتى تصبح قابلة للتنفيذ والتطبيق، ويتم بذلك انتشار شعاعها في سلوك الفرد والمجتمع، وصعوبة قياس الإيمان يمكن تجاوزها بمعرفة مظاهر الضعف في جانب متطلبات الإيمان التي تتجلى في السلوك أو في ترتيب الأهمية لاختيارات الأفراد وأهم تلك المؤشرات لرأس المال الديني حيث يزداد تراكم هذا المورد بقراءة القرآن وتدبره وقيام الليل والتضرع بالأسحار ومداومة الإنفاق والفكر والذكر والتعلق بالمساجد واغتنام المواسم التعبدية وبالصيام واصطحاب الكتب ومطالعتها<sup>23</sup>، فالاعتقاد الديني موجه جوهري في التزام الفرد والقيام بأفعال لم تتعود نفسه عليها من قبل، لذلك بانخفاض مستوياته سيدرج السلوك الديني فيه الكثير من المعاناة، وسيحاول أن يتصل من الالتزام به بأية طريقة، من هنا تأتي أهمية وجود الدافع الذاتي، وغاية جعلها تتحمل المعاناة، هذا الدافع الذاتي هو الإيمان بالله في مقدمة المعتقدات الدينية ومن خلالها يتم تبنيها والدفاع عنها، وسيتمثل صاحبها مقتضياتها وتصير أيديولوجية، توجه الفرد إلى السلوك الديني واستمراره، وبدون قوة الإيمان وتكافئه سيصعب على الأفراد الاستمرار في العمل بمقتضيات الدين ولا تظهر تجلياتها الفعلية عليهم، لقول النبي أنه قال "بش كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره.. فليُكرم ضيفه.. فليقل خيرا أو ليسكت)، فالإيمان متغير سببي وهو من أهم موارد رأس المال الديني وفي غاية الأهمية، لكونه قوة دافعة للفعل الاجتماعي الذي يكون مصدره ما يفسره الديني المحض.

### 6-3. واقع الجانب الوجداني (العاطفة الدينية) بين المجال الخاص والمجال العام:

لما يكون لدى الأفراد ميول وتفضيل لكثير من القضايا ذات المنطلق الديني والتي تتراكم نتيجة بناء المعارف والمعتقدات الدينية وتظهر في درجة التفاعل لديهم من خلال تكوين آراء ومواقف واتجاهات تعبر عن ذلك، ونفس السليق تُمثل تجليات العاطفة مورد هام من موارد تراكم رأس المال الديني، حيث للجانب الوجداني الديني دور في غاية الأهمية من المنظور الدين الإسلامي فلقد خلق الله في النفس الاستعداد للتقوى والاستعداد للفجور وما لم تُلجم فإن طغيانها لا حدود لها، وهنا تكمن محصلة بناء كل من المعرفة والمعتقد التي تتجلى في العاطفة لتترجم في السلوك، ويمكن أيضاً أن تكون المؤشرات المولية تعكس مستويات واقع الجانب العاطفي وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مثلاً الاهتمام بأوضاع وأحوال الإسلام والمسلمين مثل (احتلال فلسطين، اضطهاد مسلمي بورما..)، وتفضيل الالتزام الفعلي بالسلوكيات الإسلامية، والرغبة الدائمة بمعرفة التوجيهات الإسلامية (مثل معرفة أحكام الحلال والحرام)، والاعتزاز بالجمعيات الخيرية والفعل الطوعي، وعدم الميل لمظاهر العولمة الثقافية الغربية التي أثرت سلباً على الواقع المسلمين، والافتخار والاعتزاز بالمبادئ الوطنية وحماية عوامل الاستقلال والتحرر الوطني، فالقابلية في النفس موجودة في الاتجاهين (الفجور/التقوى) وهي خاصة أكيدة، فالاتجاه الأول للعاطفة قد يكون اتجاه سلبي ويندرج تحته كل الاتجاهات (السلوكيات) الخاطئة التي جاءت نتيجة لمشاكل نفسية اجتماعية أصابت الإنسان مثل الكُفر

وا لُجِبَ والغُور والحقد والحسد والرياء والفُراق وإتباع الشهوات من حب المال وغيره، أما الاتجاه الثاني للعاطفة، فهو يعمل على عكس ما سبق ذكره، حيث تندرج كل الاتجاهات على إيقاظ الإيمان والمعتقدات الدينية والعمل على زيادة تراكمها في المجال الخاص، شأنها أن تُقوي إرادة الإنسان ويتضح له الهدف ويسعى إلى تحقيقه، وهذا ليس ضرباً من ضروب اليوتوبيا في علم الاجتماع مثل ما ذهب إليه رالف دارندروف، بل عدها كارل مانهايم أفكاراً متسامية تمثل الحوافز الطيبة<sup>24</sup>.

#### 6-4. واقع الجانب السلوك الديني بين المجال الخاص والمجال العام:

تراكم المعارف الدينية وتجليات المعتقدات الايمانية وتكاثف العواطف والتفضيلات تتجلى في العمل بمقتضيات ذلك في السلوك الديني، ويمكن أيضاً أن تكون المؤشرات المولية تعكس مستويات واقع الجانب السلوكي كممارسة دينية وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مثلاً المواظبة على أداء الصلاة المفروضة جماعة في المسجد، التلطف بكثرة بذكر الله (مثل لا إله إلا الله، الحمد لله، سبحان الله، الدعاء، الصلاة على النبي..)، وقراءة الورد القرآني يومياً ( قراءة حزب يومياً على الأقل)، والمداومة على الإنفاق والتصدق على (اليتامى، الفقراء، الأقارب، المتسولين، عابري السبيل..)، والقيام بأداء بعض العبادات التطوعية (مثلاً صلاة القيام في الليل ركعتين فأكثر، من حين لأخر صيام التطوع، صلاة النافلة قبل وبعد الصلاة المفروضة..)، والمساعدة لمساعدة الآخرين (الجيران، المحتاجين والضعفاء، الأقارب، الزملاء)، والالتزام بحضور المناسبات الإسلامية (مثل صلاة العيدين، زيارة الحجاج بعد عودتهم، حضور الجنائز، زيارة المريض... الخ)، وارتباط لما سبق ذكره نجد من المنظور الاسلامي أن ضعف الإقبال على أداء الصلوات، والفقر في أداء الواجبات الدينية، وقلة قراءة القرآن، والنقص الكبير في أداء النوافل وضعف روابط الأخوة والقيام بحقوقها، والتقصير في القيام بحقوق الآخرين كبر الوالدين وصلة الأرحام والجيران والمحتاجين، هو في الحقيقة انعكاس لانخفاض مستوى المعاني الدينية وقلة انتشارها وتوطئتها في المجال الخاص والعام، وجاءت في هذا السياق نظرية الممارسة عند بيار بورديو، حيث يربط قدرة الفاعلين على تحويل وتغيير البناء بانها نتاج البنية على الفاعلين، رغم أنهم صنعوا ويصنعون البنية باستمرار، ولكن يستلزم ذلك توافر شروط بنيوية، ويتحدد إنتاج الممارسات عند بورديو على الوضع الذي يحتله الفاعل في الفضاء الاجتماعي وأيضاً على المجال الذي تتم فيه هذه الممارسات.

مما يعني ويترجم أنه بانتشار المعاني الدينية في المجال العام ستزداد ممارسة الشعائر التعبدية وسيتراكم هذا المورد الهام في بناء رأس المال الديني وتظهر الاستعدادات وتتضاعف بشدة الخوف من الله وبقراءة القرآن وتدبره وقيام الليل والتضرع بالدعاء ومداومة الإنفاق وكثرة الذكر وأداء الصلاة بالمساجد واغتنام المواسم التعبدية بالصيام واصطحاب الكتب ومطالعتها، ونجد أن تأثير دور المسجد في تشكيل رأس المال الديني منخفض، وللمسجد مكانة مهمة، هذا البناء المتسع نسبياً له موقعه في المدينة وله منبر ومكانة يجد فيه المصلي رؤية المصلين بعضهم لبعض، ومنهجية الصلاة تجعل هناك تفاعل إنساني لتحضن تلك

الصفوف كل المصلين ويزيدها الإمام هيبة بخطبته يوم الجمعة واقفا حافيا فيقترب عاطفيا مما يزيد المسجد رمزية ويعمل على مراكمة رأس المال الديني في المعرفة والمعتقدات والعاطفة والممارسة التعبديّة، ومع أنه مؤسسة تنشئة اجتماعية قوية تجذب إليها المؤمنون بالدين ليتشكل رأس المال الديني وتضمن استمرار بنائه، إلا أنه انحسر دوره في أداء الصلاة في حدود ما تسمح به سياسة النظام القائم على واقع حال الناس.

وفي حالة وجود تناقض وخلال دور المسجد وخطابه مع تقلبات الواقع المتغير الأناي فإنه سيؤثر سلبا على المجال العام والخاص ويضمّر دوره ويضعف خطابه ويتراجع تأثيره في مستوى تراكمه على أفراد المجتمع، ولعل تواضع تأثير المستوى العلمي لأغلب خطباء المساجد حسب دراسة رشيد بوسعادة<sup>25</sup> تؤكد تلك الأسباب في انخفاض مستويات تراكم الممارسة التعبديّة، وغالبا ما يردد المصلين في حديثهم وانتقادهم أن بعض الأئمة تجدهم يبررون تصرفات السلطة ويعملون على ترتيب خطب المناسبات التي تريد الحكومة الاحتفال بها، ما جعل انحسار دور المسجد من جهته بالصلاة فقط دون مناقشة أمور المسلمين في الحي أو في المدينة أو المجتمع الكبير إلا في حدود ما تسمح به السلطة وتؤكد ذلك نتائج دراسة سابقة لعبد الباسط عبد المعطي بعنوان "الوعي الديني في الحياة اليومية"<sup>26</sup>، ومن جهة أخرى فإنه لا تكلف ممارسة الشعائر التعبديّة في أغلبها المرء شيئا من المال كالصلاة والذكر وزيارة المرضى والسعي في مساعدة المحتاجين والجيران، بل قد يجد فيها التزاما قويا اتجاه واجباته الدينيّة، ويقل هذا الالتزام كلما اقتربت من المعاملات في الحياة اليومية، وفي هذا المعنى ما تؤكدته الدراسة السابقة، حيث أشارت سهام محمد "أن البيئة الاجتماعيّة ومركباتها الاقتصاديّة والثقافيّة تلعب دورا ظاهر إيجابيا وسلبا على السلوك الديني"<sup>27</sup>.

مما سبق تشير المظاهر المعوّدة عن علاقة المجال العام والمجال الخاص لرأس المال الديني خاصة بوجود تفاوت وعدم توازن في تراكم البعد المعرفي والايديولوجي والوجداني والسلوكي في المجال الخاص وما للمجتمع من أهمية كبرى في التأثير الكمي والكيفي على رأس المال الديني.

تتأثر أبعاد رأس المال الديني بمتغير المنطقة الجغرافية وينتج عنه تفاوت نحو مستويات كل من المعرفة الدينيّة، المعتقدات الدينيّة، العاطفة الدينيّة، والممارسة الدينيّة، كذلك تتأثر أبعاد رأس المال الديني لاسيما في بعد المعرفة الدينيّة بحسب المستوى التعليمي والذي سيترتب في أعلى مستوى مقارنة من هم أدنى تعليما وثقافة أي الذين ينتمون إليه من حيث تراكم المعرفة الدينيّة وخلاف لجانب العاطفة والمعتقدات والممارسة فلا توجد فروق بين هذه المستويات التعليميّة حسب ما ذهب اليه كاظم خالد ابودوح<sup>28</sup> في ان رأس المال الديني يتمثل في درجة حيازة وسيطرة الفرد على الثقافة الدينيّة، ومن خلال تعلم الفرد للمهارات والشعائر الخاصّة بدين معين، سواء كان هذا التعلم بشكل رسمي من خلال التعليم الديني، أو بشكل غير رسمي، ويعتمد الفرد على ما يحوزه من رصيد في تدوير ومبادلة هذا الرصيد إلى أشكال أخرى من رأس المال، وذلك بهدف تحقيق المنافع المختلفة.

وكننتيجة هناك علاقة ارتباط بين مستويات حيازة وتراكم رأس المال الديني في المجال الخاص والمجال العام ويزداد الوعي الاجتماعي في المجال العام لدى الفاعلين في المجتمع بالفهم والاهتمام والمشاركة التي محصلة للمعرفة والايان والميل والممارسة في المجال الخاص.

زيادة تراكم متغير العاطفة الدينية له تأثير ايجابي ذو دلالة على المتغير التابع الاهتمام بمتطلبات الوعي الاجتماعي في المجال العام مما يعني أنه كلما تراكمت موارد العاطفة الدينية نحو القضايا ذات المنطلقات الدينية والتفضيلات والميولات التي تبرر مثلا العمل الاجتماعي زامستوى واتجاه الوعي في بُعد الاهتمام أي كلما كان حرص على تكثيف ما من شأنه أن يضاعف درجة العاطفة يكون له انعكاس على الاهتمام بمتطلبات المسؤولية الاجتماعية، وهذا يجد فيه الباحثان توافق بين الاهتمام بقضايا الدين وقضايا المجتمع بمختلف أولوياته بين المجالين الخاص والعام، كما أن متغير السلوك الديني له تأثيرا ايجابيا على المشاركة بمتطلبات المسؤولية الاجتماعية مما يعني أنه كلما هناك تراكم في ممارسة الشعائر الدينية التي تبرر العمل الاجتماعي زاد مستوى واتجاه المشاركة والمساهمة والالتزام بمتطلبات المسؤولية الاجتماعية في المجال العام أي كلما حرص الأفراد على تكثيف ما من شأنه أن يضاعف درجة السلوك الديني سيكون له انعكاس لصالح المشاركة في المجال العام وموجهة نحو خدمته.

وفي هذا السياق يرى تالكوت بارسونز أنه كلما تقدم المجتمع كانت القيم الإدراكية هي التي لها السيادة، وكلما تخلف المجتمع كانت القيم الوجدانية هي الضابطة لإيقاع التفاعل في المجتمع، وتستند أدائية القيم التفضيلية إلى مرجعية أي منهما، ولعل انخفاض مستويات المعرفة الدينية ومستويات العاطفة الدينية ومطرسة الشعائر التعبدية الدينية تُعبر عن واقع انتشار المعاني الدينية في المجال العام والمجال الخاص في تعكس حالة الأنوميا التي تُعاني منها المجتمعات ولا تمتلك الفاعلية لتوجيه سلوكيات الأفراد وضبط أدائهم كما ينبغي ويدُراد لها حسب يوتوبيا الباحثين.

### سابعاً : الخاتمة:

وكخلاصة لا يبدو أن هناك توازن في أبعاد مصادر رأس المال الديني فهي متفاوتة بين ثلاث فئات بين منخفض ومتوسط ومرتفع نوعا ما، كما يَعْزى تفاوت مستويات كل من المعرفة الدينية، المعتقدات الدينية، العاطفة الدينية، والممارسة الدينية، للمناطق الجغرافية وإلى المستوى التعليمي، ولعل انخفاض مستويات موارد رأس المال الديني تُعبر عن واقع انتشار المعاني الدينية في المجال العام وفي المجال الخاص فهي تعكس حالة الأنوميا التي يَعْزى عنها المجتمعات التي يبدو أنها معلقة في فضاء المجتمع تحت رحمة مخرجات العلمانية كمشكلة اجتماعية على سبيل المثال مشكلة الفردانية، لذلك فهي لا تمتلك الفاعلية لتوجه سلوكيات البشر وتضبط أدائهم كما ينبغي ويدُراد لها حسب يوتوبيا الباحثين.

انطلقا الباحثان من أن للرأس المال الديني القدرة في منح الأفراد و الجماعات هوياتهم الثقافية وأنه بإمكانه بناء مكانتهم الاجتماعية، ويتحدد سلوكهم واختيارهم في ضوء قيمهم ومرجعياتهم الإيديولوجية، وطالما

المجتمع ومجاله العام فاقد للتوازن بين أجزائه التي لا تتميز بالترابط الوظيفي الأمر الذي جعل هناك خلل وظيفي والذي انعكس على فقدان التوازن بين أفراده في مجالهم الخاص ليتمثل بالتالي قيم المجتمع غير المتحملة لمسؤوليته الاجتماعية والقيم السلبية السائدة فيه سيتفاعل بالتالي في حدود معينة لا ترقى لتحقيق تلك الاستجابة الطوعية والطموحة بين أفرادها، وللباحثين أن يستشرفا في ضوء التنبؤ في حالة ارتفاع وتوازن مستويات تراكم موارد رأس المال الديني أن يكون هناك زيادة في مستويات الوعي الاجتماعي في المجال العام كما ونوعا وأن تعالج حالة الأنوميا الاجتماعية، وفي حالة ما توقفت آليات تبديد رأس المال الديني الموجودة مثل التطرف بالمعاني الدينية بوصفه بضاعة مغشوشة، ومثل إيقاف العبث بالمعاني الدينية من خلال التدخل لنزع آيات الجهاد والمقاومة وآيات المتعلقة بالنظرة السلبية لليهود والآيات المتعلقة بالتورث أو المتعلقة بالمرأة في إطار الأسرة أو في التعليم الديني أو إشعال الفتنة بين الجماعات الدينية، أو سعي في محاصرة الجماعات الدينية غير العنيفة وغير المتطرفة.

وفي نفس السياق قد قام روبرت بوتنام Robert D. Putnam بدراسات في عدد كبير من مؤسسات المشاركة المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية، وانتهى إلى أن هناك ما يشير إلى تراجع رأس المال الاجتماعي في المجتمع المدني بسبب تراجع معدلات المشاركة السياسية والديمقراطية، ويربط ذلك بنمط الحياة الحديثة، مما أدى إلى عدم الاهتمام بالانضمام إلى التجمعات المدنية، فكيف تراجع رأس المال الديني بين المجال الخاص والمجال العام بوصفه أشد وطأ من رأس المال الاجتماعي بل أنه هُوِّد له والعكس غير ممكن أن يولد رأس المال الاجتماعي رأس المال الديني.

## الهوامش:

- 1 - علي ليلة، النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع-اليات التماسك الاجتماعي-، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 2015، ص 159.
- 2- موقع الموسوعة العربية، <https://www.arab-ency.com/ar/>، تاريخ الولوج الى يوم: 16-02-2016 على الساعة 00:56
- 3 - محمد علي محمد، تاريخ علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1987، ص 102.
- 4- فاطمة الزهراء سعيداني، مكانة شبكة العلاقات الاجتماعية في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ط1، مؤسسة المناهج كتابك، الجزائر، 2014، ص59.
- 5 - ريمون بودون وفرنسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: حداد سليم، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1986، ص316.
- 6 - عبد الغني عماد، سوسيولوجية الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص138.
- 7 - أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن، ط8، دار القلم، الكويت، 1401 هـ، ص129.
- 8 - كاظم خالد أبو دوح، رأس المال الديني - مقارنة نظرية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد51، العدد الثالث، مصر، 2014، ص140.
- 9 - Roger Fink, Kevin D, Dougherty, **The Effects of Professional Training : The Social Capital Acquired in Seminaries**, Journal for the scientific Study of religion, Vol.21, jun. 2003, تم تحميل من الموقع الالكتروني على الانترنت والولوج بتاريخ 2016/12/21 p158. <http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/1468-5906.00104/pdf>
- 10 - دانييل هيرفيه وجون بول وليام، سوسيولوجيا الدين، تر: درويش الحلوجي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005م، ص164.
- 11 - عبد الحليم عويس، الإسلام كما ينبغي أن نؤمن به، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1405هـ، ص 21.
- 12 - عبد الهادي الجوهري وآخرون، المرجع السابق، ص 182.
- 13- Jurgen Habermas، **structural transformation of the public sphere: an inquiry in to a category of bourgeois society**، translated by: Thomas Burger, massachussets institute of technology, 1989.
- 14 - علي ليلة، النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع -اليات التماسك الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، مصر، 2015، ص154-158.
- 15 - علي ليلة، المرجع السابق، ص161-167.
- 16 - المرجع نفسه، ص 168.
- 17 - نيفين روى، الإسلام المعولم -البحث عن أمة جيدة، دار النشر هيورست، المملكة المتحدة، 20017، ص132.
- 18 - علي ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة-دراسة لعلاقة الانسان بالمجتمع، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، ط1، مصر، 2012، ص 312.

- 19 - علي ليلة، العلاقة بين الدين والسياسية في أجندة الإصلاح في العالم العربي، مكتبة الاسكندرية، مصر، 2006، ص 34.
- 20 - معن خليل عمر، علم اجتماع المعرفة، دار الشروق للشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2006، ص240.
- 21 - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: سلسلة مشكلات الحضارة، تر: بسام بركة، ط1، دار الفكر، سوريا، 1992، ص 102.
- 22 - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار الإسلامي في العالم الإسلامي: سلسلة مشكلات الحضارة"، تر بسام بركة وأحمد شعبو، ط1، دار الفكر، الجزائر، 1992، ص239 .
- 23 - مجدي الهلالي، الإيمان أولاً، دار التوزيع والنشر، ط1، مصر، 2000، ص 37.
- 24 - معن خليل عمر، المرجع نفسه، ص221.
- 25 - رشيد بوسعادة، الامام والمسجد بين الدين والسياسة، اطروحة دكتوراه علوم، جامعة الجزائر2، 2007، ص 32.
- 26 - عبد الباسط عبد المعطي، الوعي الديني والحياة اليومية في القرية - دراسة ميدانية على شرائح طبقية في قرية مصرية، مصر، مركز دراسات الوحدة العربي، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، 1989 من ص 391.
- 27 - سهام محمود العراقي، الاتجاه الديني بين طلاب وطالبات جامعة طنطا"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة طنطا، مصر، 1979م
- 28 - كاظم خالد أبو دوح، رأس المال الديني - مقارنة نظرية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد51، العدد الثالث، مصر، 2014، ص 140.